الأمّة القرآنية

فلاح حسن

إنّ فكرة وحدة الأمة الإسلامية والتنظير لها والإيمان الصادق بها قولاً وعملاً ومنهجاً وهدفاً.. يعود كلّ ذلك ـ بالضرورة ـ إلى عقيدة التوحيد نفسها، هذه العقيدة التي يرتكز عليها فكرنا الإيماني، وكلّ ما يترتّب عليه من آثار ومستلزمات في حياتنا العملية، وما يتحدّد في ضوئه من علاقات وتصوّرات ورؤى. وما يترشّح من أنشطة مختلفة في جميع مفاصل حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية..

فبالوحدة ـ هذا المفهوم العظيم والركن الرصين والهدف النبيل ـ يقوم الدين، وتزدهر معالمه، وتنتشر دعوته وتعمّ مبادئه، ويحفظ كيانه، ويُدحض أعداؤه، ويُسعد أبناؤه.. لهذا جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآثار الصالحين تترى بالحديث عنها والدعوة إليها، وترسيخها في قلوب الناس وأخلاقياتهم وفي سلوك النخبة وأهدافهم..

لقد أكّدت تلك الآيات والروايات والآثار.. هذه الوحدة في حياتنا منطلقاً

وهدفاً ومنهجاً.. فالله الواحد الأحد الذي خلق وأبدع هذا الكون، وقدّر ما فيه وما حوله وفق أنظمة دقيقة ما إن يختلّ جزء منها حتى يترك آثاره على باقي الأجزاء. إنه ـ حقّاً ـ جسم واحد يكمل بعضه بعضاً، ويتضرّر بعضه ببعض...

ثمّ خلق فيه نواة تطوره وديمومته بل وسيده آدم وزوجه من نفس واحدة ﴿**هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وجعل منها زوجها**﴾[١]. كان حفنة واحدة من تراب نفخ الله فيها من روحه فتمثّل بشراً سوياً. فقدّر لهذا المخلوق أن يكون سيّد الكائنات والمخلوقات بما أودعه الله فيه من جمالٍ وجلالٍ وقدرةٍ ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾[٢] وبما أهّله لأن يكون خليفة الله تعالى في أرضه ﴿**وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة..**﴾[٣] ثم وضعت السماء بعد ذلك أمانتها في عنقه، بعد أن امتنعت عن حملها السماوات والأرض والجبال وأشفقن منها: ﴿**إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان..**﴾[٤].

نعم حملها مختاراً طواعيةً لا كرهاً، وثقةً منه بما أودعه الله تعالى فيه من قدرات، وشعوراً بتكليفه ومسؤوليته؛ ليبدأ مشواره من الله تعالى، مستمدّاً منه العزم والقوّة؛ لينتهي إلى الله تعالى أيضاً فيجد حسابه وينال ثوابه، ويحصد ثمار أعماله وكدحه ﴿**يا أيّها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربّك كدحاً فملاقيه**﴾[٥].

وفي كلّ خطوة يخطوها في مشواره ذاك ينظر نظرتين: نظرة إلى السماء يسأل رحمتها وتسديدها له وهو يردّد: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، إنّا لله بدءُنا وإنّا لله حياتنا وديمومتنا، وإنّا لله مآبنا، وإنا لله منتهانا. فهو بدون هذه النظرة لا يستطيع فعل شيء. وما بين البداية تلك والنهاية هذه ما بين أوّل الشوط وآخره راحت منطلقةً بكلّ وعي وصدق قوافلُ المجاهدين الصابرين؛ لتؤدي دورها العبادي بمعناه الأشمل والأتمّ، الذي أرادته السماء ورسمته ريشتها لبني البشر ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون**﴾ ليعبدون ربّاً واحداً، عبر عمل دؤوب ونشاط متواصل

بالخير والعطاء يرضي الله وينفع الناس، وقطعاً إنّ العمل الذي يرضي السماء وينتهل منه الناس خيراً وبركةً ونفعاً ليس العمل الذي يزرع البغضاء ويمزِّق الأمّة، بل هو الذي يبذر الخير للجميع، ويوحّد الصفوف، ويلقي بظلاله الوارفة علينا جميعاً.

أما النظرة الثانية فهي إلى واقعه وما يتضمّنه، وإلى منهجه ومسيرته، وما تتركه حركاته من بصمات على حياته بكلّ ما فيها، نظرة تأمّل ودراسة لساحته وميدان عمله بغية وضع يده على نقاط الضعف فيه لتقويتها. وعلى نقاط القوّة فيه لإدامتها، وبالتالي تطويره وبرمجته وفق إرادة السماء وما خطّطت له ﴿**ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾[٦].

وأية أمّة هذه التي أرادها الله تعالى أن تكون؟! إنّها الأُمّة القرآنية الموحّدة؛ لأنّ أمانة السماء التي أبت السماوات والأرض حملها، لا تؤدّيها أمّة متفرّقة، أمّة متخاصمة، أمّة متنازعة ومتناحرة ومتباغضة ومتحاسدة، أمّة تنهشها هذه الأمراض من كلّ جانب لا تستطيع تحمّل شيء، أو تحريك ساكن فضلاً عن فعل ما فيه خير وصلاح، إنّ التي تحملها وتؤدّيها خيرَ أداءٍ أمّةٌ قوّتها في وحدتها، وعزّتها في تراصها، وكرامتها في تآلفها، وشموخها في تلاحمها، وبقاؤها في تآزرها وانتصارها في تكاتفها..

عندئذ تستطيع أن تحمل تلك الأمانة العظيمة، وتكون جديرةً بها وبالمحافظة عليها وأدائها بالصورة التي تريدها السماء.

إنّ كلمة الأُمّة في النصّ القرآني ﴿**إنّ هذه أُمّتُكم أُمّةً واحدةً**﴾[٧] تعني معنى واحداً جامعاً لكلّ من آمن بالإسلام ديناً لا خصوص جماعة معينة أو مذهب أو قومية محدّدة. فالمسلمون جميعاً أُمّة واحدة تدين بدين واحد وتعبد ربّاً واحداً ﴿**وأنا ربّكم فاعبدون**﴾.

إذن هذه الأُمّة الواحدة ـ التي أردتها السماء، وأمرت المؤمنين بالسعي

لتحقيقها، هي الأُمّة المسؤولة المكلّفة بأحكام السماء لا غيرها، وإذا ما تفرّق أبناؤها وإذا ما تشتّت مذاهب وفرقاً، فلا يصدق عليها حينئذٍ التعبير القرآني والكلمة القرآنية أنها (أُمّة) ولا تكون مشمولة بما أرادته الآية الكريمة هذه وكذلك الآية السابقة ﴿**كنتم خير أُمّة...**﴾ فبالتنازع والتناحر تلغى خصوصية الأُمّة، وتلغى آثارها من القوّة والمنعة والقدرة والتآلف، وتستبدل بالضعف والعجز والحقد والبغضاء وما إلى ذلك.

أرادنا الله أن نأمر بالمعروف جماعة وأرادنا أن نستنكر المنكر جماعة فـ«يد الله مع الجماعة»، وهذا يعني أن الفرد بنفسه ليس مكلّفاً ومأموراً باستنكار المنكر والأمر بالمعروف [illegible] فهو واجب ومسؤولية ملقاة علينا كأفراد وجماعات، ولكنّ الله سبحانه يحب أن يكون الأمر جماعة فهو أقوى أثراً وأدوم بقاءً، فالصلاة جماعة أفضل من الصلاة فرادىٰ..

إنّ الأُمّة القويّة القادرة المتآلفة هي الأُمّة القرآنية، التي لا تفاخر ولا تكاثر بينها بالأنساب والأموال والأنفس ﴿**ألهاكم التكاثر**﴾[٨]، وهذه عيوب تفتت جمعها وتمزّق شملَها، وتبعثر وجودها، وبالتالي تطيح بكيانها بعد أن تتركها أكلةً سائغةً للأعداء.

فالأُمّة القرآنية وهي الهدف الذي كانت تهفو إليه قوافل الأنبياء والمرسلين، وجدّت في المسير إليه ولا زالت كلّ مواكب الصالحين، كما راحت ترفرف حوله وتطوف به أرواح الشهداء، بعد أن عبّدته جماجمهم وسقته دماؤهم.. وظلّت الأجيال المؤمنة المتعاقبة تتوارث كنوزه المضرّجة بدماء الشهداء والمعفّرة بتراب ساحات الفداء حتى وصل إلينا وها هو بين أيدينا هدفاً سامياً عظيماً، أفيصح منا أن نفرّط به وأن نضيّع ما قد وفّرته لنا تلك الجهود المباركة وتلك الحشود الصادقة، فنفد على ربّنا ببضاعة كاسدة فيقول كلّ منّا ﴿**أين المفرّ**﴾[٩] بعد أن ﴿**ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخّر**﴾[١٠] ويومها ﴿**يتذكّر الإنسان وأنّا له الذكرى* يقول يا ليتني**

قدّمت لحياتي﴾؟

لا أريد أن يُفهم ممّا أقوله أنّ الماضين لم يكن بينهم خلاف، ولم تكن هناك مواقف كادت أن تمزّقهم. لا، أبداً، بل أريد أن أقول: إنّ هناك قواسم مشتركة بينهم، زيّنت صفحات حياتهم، وكانت نقاط خير وعطاء للقائهم وتوحّدهم... فما أحرانا وقد كثر أعداؤنا والمتربّصون بنا ـ أن نلتقي نحن أيضاً عند القواسم المشتركة وما أكثرها. فخلافات الرأي وما يترتّب عليها من مواقف ماثلة أمامنا، ولكن بوجود الصالحين الواعين تضيق دائرتها ويمنع من تجذّرها؛ لنبدأ حياة أكثر إشراقاً وأكثر أملاً دون أن نكبت صوت الحق أو نلغي الآراء المبرّرة والاجتهادات العلميّة، أو أن نصادر الرأي الآخر إذا ما توفّرت أدلّته وقام على ركن قوي. وبذلك نستطيع أن نحفظ لأُمّتنا دينها وأصالتها، وأن نصون وحدتها ونقوي شوكتها ونديم وجودها، فتقف شامخةً بين الأُمم، ومتعاليةً على ما فيها من خلافات فرضتها طبيعة الحياة وطبيعة العمل والكدح ما دام الهدف الأعلى والغاية الأسمى التي نسعى جميعاً لتحقيقها، هو الأُمّة القرآنية التي بها كلّ خير وعطاء وبها رضا الله سبحانه وتعالى.

لهذا كلّه ولغيره ممّا لا يسع المقام ذكره بادر السيّد الإمام رضوان الله عليه بعد أن وعى كلّ ذلك وآثاره، وعرف أنّ قيمة هذه الأُمّة بوحدتها، وأنّ للوحدة قيمة كبرى، وأنّ رسالة السماء ودعوتها يتوقف تبليغها على وحدة الأُمّة، وأن انتصارها وبقاءها رهين بوحدتها وأنّ موتها وانقراضها بتفرّقها، وبالتالي فإنّ وحدتها فوق كلّ اختلاف.. بادر سماحته يحول نقاط الخلاف بين أبنائها إلى نقاط ائتلاف ضمن رؤية عقائدية وفقهية وسياسية تبحث عن القواسم المشتركة، فيقف عندها دون أن يغور بالخلافات الأُخرىٰ فتتعمّق، أملاً أن تجد حلّاً في المستقبل، فالزمن كفيل بحلّ كثير من المعضلات، وما استعصىٰ حلّه اليوم يتيسّر حلّه غداً، وهكذا راح سماحته بحكمته العالية وهمّته التي لا تعرف الكسل، وبأمله الذي لا يشوبه اليأس،

يدلي بوصاياه وأوامره في هذا الخصوص، وسنذكر بعضها بعد أن نقف قليلاً؛

مع القرآن والرسول صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام

بعد هذا التمهيد أجد نفسي ملزماً بالوقوف عند بعض الآيات والروايات حول الوحدة، وأهمّيتها في حياتنا بكلّ مفاصلها ومحاورها، والتحذير من خطورة التخلّف عنها، والركون إلى الفرقة.. لأنتقل بعد ذلك إلى آراء السيد الإمام وأقواله ووصاياه خصوصاً لحجّاج بيت الله الحرام وبما يتعلّق منها بمقالتنا هذه.

فقد دعا القرآن الكريم الناس جميعاً إلى توحيد صفوفهم وإلى التعالي على خلافاتهم، وإلى نبذ حالة التشرذم.. بالتمسّك بحبل الله ومنهجه ففيه الخير كلّه.

قال تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا**﴾(١١).

وقال أيضاً في آية أُخرىٰ: ﴿**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصابرين**﴾(١٢).

إنّها دعوة لكلّ الناس، دعوة للبشرية جميعاً، أن يتمسّكوا بحبل الله المنقذ لهم من الغرق في النزاعات والاختلافات، والمنجي لهم من السقوط في اتون الحروب والتطاحن، وأن يجتمعوا بدل كلّ تلك المتاهات حول دين الله الإسلام، وأن لا يتفرّقوا ولا يتنازعوا، وكلّ هذه التعابير تأكيد لذلك الأمر وهو التمسّك والاتحاد. فإنّ التنازع والتشاجر والتناحر لا يؤدّي إلّا إلى ضعف الكيان وتهاوي الأُمّة، فتصبح أكلة سهلة سائغة لأعدائها الذين يتربّصون بها الدوائر..

وقد هدّد وأنذر الذين يسعون إلى الفرقة بعذاب أليم ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعدما جاءَهم البيّنات وأولئك لهم عذاب عظيم**﴾(١٣).

ولم يترك الله سبحانه وتعالى هذه الأُمّة بلا ميزان بعد أن شجب التفاخر والتكاثر والتعالي بين أبنائها بغير ما يرضيه، فقد جعل التقوى هي ميزان التفاضل بينهم.

قال الله تعالى في محكم كتابه:

﴿يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأُنثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾

ثم راح يبيّن صفة هذه الأُمّة المتماسكة ودورها ووظيفتها: **﴿كنتم خير أُمّة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**(١٤).

ثم إنّ القرآن الكريم جعل حبّ الله تعالى، هذا الوسام الذي ما بعده وسام، وهذا الفخر الذي لا فخر سواه، والأمل الذي لا أمل غيره... حبّ الله سبحانه وتعالى، جعله من نصيب المتوحّدين، والذين جعلوا من أنفسهم صفّاً واحداً في كدحهم وفي جهادهم وفي دعوتهم إلى الله سبحانه...

﴿إنّ الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص﴾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة: «**يا معشر قريش إنّ الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء. الناس لآدم وآدم من تراب. ثم راح صلى الله عليه وآله يقرأ الآية: ﴿يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأُنثىٰ...﴾**

فليس هناك من يرتاب في أنّ فريضة الحجّ ومناسكها تدعو للوحدة، وهي مناسبة عظيمة وفرصة كبرى للتمسّك بأخلاق الله تعالى والتصديق بأوامره والانتهاء عمّا نهى عنه، وانتهاج منهج أوليائه من الأنبياء والرسل والصالحين في توحيد الصفوف، والظهور بمظهر واحد خالٍ من التفاخر والتعالي، في مؤتمر إسلامي سنوي ليس له نظير، يرعب الأعداء، ويلقي في نفوسهم الخشية والهيبة من هكذا تجمع بزيّ واحد ومناسك واحدة وكلمة واحدة «**لبيك اللهمّ لبيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك**».

تعلو هذه الأصوات من حناجر تواضع أصحابها لله وحده، وقد لبّوا دعوته، تاركين الأهل والعشيرة والمال والبنين، إنها رحلة العودة إلى الله حقّاً، يقول الإمام علي عليه السلام:

«**وفرض عليكم حجّ بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود**

الأنعام، ويألهون إليه ولوه الحمام، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزّته، واختار من خلقه سماعاً أجابوا إليه دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً، وللعائذين حرماً، فرض حقّه، وأوجب حجّه، وكتب عليكم وفادته، فقال سبحانه: ﴿ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإنّ الله غنيٌّ عن العالمين﴾(١٥).

مواقف السيّد الإمام:

فموسم الحج؛ هذا التجمّع العظيم تحت لواء التوحيد، يرى السيّد الإمام فيه قوّة عظمى تتحطم على صخرها دسائس ومخططات ومؤامرات كلّ الأعداء المتربصين بهذه الأُمّة سوءاً، [illegible] ومن جهة أخرى يرى فيه تحقيقاً لطموحات الأُمّة وآمالها في أمّة كريمة واحدة متفاعلة مكتفية ذاتياً في كلّ مجالات وأصعدة تطورها، الثقافية والاقتصادية والعلمية.. ويكون تجمّع المسلمين في الحج صورة مصغّرة لها..

وعلى ضوء تلك الآيات المباركة والأحاديث النبوية الشريفة وانطلاقاً منها، وتمسّكاً بما يمليه عليه دينه وانقياداً لتعاليمه، وللرؤية الواضحة التي يمتلكها ووعيه الدقيق للواقع الإسلامي الذي يضمّ شعوباً مظلومة مقهورة تحت سياط حكّامٍ طغاة ظالمين، وشعوراً منه بالمسؤولية الشرعية الملقاة على عاتقه وهو مرجعٌ كبير وزعيم باتت أنظار كثير من المسلمين متوجّهة صوبه، منتظرةً كلمته ملبيةً دعوته، راح السيد الإمام الخميني يوجّه نداءاته الكثيرة ووصاياه المتعدّدة؛ لتوثيق الوحدة بين المسلمين ـ التي حظيت من وقته وجهده واهتماماته الكثير، فكانت له رؤى خصبة في هذا المضمار ـ ونبذ الخلاف ويحذّر من التفرقة والتشتّت.

القومية:

بدءاً بالتحذير من إثارة النعرات القومية التي تنخر في جسم الأُمّـة والتزاماً منه رضوان الله عليه بنهي النبيﷺ: «دعوها إنها (العصبية) نتنة». «وليس منّا مَن دعا إلى عصبية». راحت أقواله تترى: إنّ النعرات القـومية ـ هـذه المسألة التـي عـارضها الإسلام والقرآن الكريم والنبيّ الأعظم ـ تثير العداء بين المسلمين والشقاق بين صفوف المؤمنين، وهي بالتالي تهدّد مصالح المسلمين، وهي من مكائد الأجانب الذين يزعجهم الإسلام وانتشاره..

ـ وتأكّدوا أنكم إخوة متساوون مع جميع الشعوب بغضّ النظر عن اللون والقومية والمحيط والمنطقة، تتبادلون الهموم والآلام، وتؤكّدون الوحدة بينكم، وتنهضون يـداً واحدةً ضد أعداء البشرية والمزوّرين ومصاصي الدماء.

ـ يجب أن تعلموا أنّ الطريق الأساس إنّما هو في ظلّ وحدة جـميع المسـلمين، واجتماعهم على قطع أيادي القوى العظمى من الدول الإسلامية.

ـ ينبغي على الحجّاج المحترمين لبيت الله الحرام لأي مذهب أو قومية انـتموا أن يرضخوا لأحكام القرآن الكريم، ويقفوا في مواجهة سبل الشياطين الذين يريدون اقتلاع الإسلام، الذي طهر الشرق والغرب منهم ومن عملائهم الذين لا إرادة لهـم سـوى إرادة أسيادهم. ويمدّوا يد الاخوّة الإسلامية بعضهم لبعض ويـنتبهوا للآيـات الكـريمة التـي تدعوهم إلى الاعتصام بحبل الله، وتنهاهم عن الاختلاف والتفرقة..

السنّة والشيعة:

لم يكن يرى أنّ الاخـتلافات المـذهبية مسـوغة للـفرقة بـين أبـناء الأُمّـة الإسلامية الواحدة، وكان يؤكّد أنّ الاخوّة الإسلامية لا يضرّها اختلاف الآراء.. ويضع اللوم على ما أسماهم بوعاظ السلاطين بإثارة النعرات المـذهبية وتأجـيج نيران الخلافات بين أهل السنّة والشيعة.

لهذا انبرى السيّد الإمام قبل انتصار الثورة وبعدها إلى تثبيت رؤاه وتحـقيق

الوحدة الإسلامية، يقول سماحته:

ـ هناك ما هو أخطر من النعرات القومية وأسوأ منها، وهو إيجاد الخلافات بين أهل السنّة والشيعة، ونشر الأكاذيب المثيرة للفتن والعداء بين الاخوة المسلمين.. ثم راح يوصي الاخوة المسلمين بأن هؤلاء المأجورين المرتبطين بالقوى الشيطانية الكبرى لا يستهدفون خير الإسلام والمسلمين، وعلى المسلمين أن يتبرأوا منهم ويعرضوا عن إشاعاتهم المنافقة..

وقد خطى السيّد الإمام خطوات كبيرة في توحيد صفوف المسلمين، فبادر إلى إصدار فتواه بتجنّب ما يثير الفتن، ويثير الضغائن بين الاخوة.

يقول: على الاخوة الايرانيين وجميع الشيعة في العالم أن يتجنّبوا الأعمال الجاهلة، التي تؤدّي إلى تفرّق صفوف المسلمين، كنصب مكبّرات الصوت بدون انتظام، وإلقاء النفس على القبور الطاهرة، والأعمال المخالفة للشرع(١٦).

كما أصدر فتوى أخرى للشيعة بالاشتراك في الصلوات، حيث يقول:

وعليهم أن يشتركوا في جماعات أهل السنّة، وأن يتجنّبوا عقد صلاة الجماعة في البيوت.

ثم راح يبيّن خطورة تقسيم الأُمّة الإسلامية إلى مذاهب وحذّر منها:

ـ إنّ طرح مسألة تقسيم المسلمين إلى سنّي وشيعي وحنفي وحنبلي وأخباري لا معنى لها أساساً..

ـ المجتمع الذي يريد أفراده جميعاً خدمة الإسلام والعيش تحت ظلال الإسلام لا ينبغي أن يثير هذه المسائل.

ـ كلّنا اخوة، وكلنا نعيش قلباً واحداً، غاية الأمر أنّ الحنفي يعمل بفتاوى علمائه، وهكذا الشافعي، وثمّة مجموعة أخرى هي الشيعة تعمل بفتاوى الإمام الصادق عليه السلام، وهذا لا يبرّر وجود الاختلاف، لا ينبغي أن نختلف مع بعضنا، أو أن يكون بيننا تناقض. كلّنا اخوة، على الاخوة الشيعة والسنّة اجتناب كلّ اختلاف، فالاختلاف بيننا اليوم هو لصالح الذين لا يؤمنون بالسنّة ولا بالشيعة ولا بالمذهب الحنفي ولا بسائر الفرق الإسلامية.

وهؤلاء يريدون القضاء على هذا وذاك، فهدفهم بثّ الفرقة بينكم. عليكم أن تنتبهوا جيداً أننا جميعاً مسلمون وأتباع القرآن وأهل التوحيد[١٧].

دعوة لإحباط المؤامرات

ويبادر سماحته بالدعوة الصادقة إلى الوحدة والتآلف لإحباط المؤامرات فيقول:

ـ إنني أمدّ يد الاخوّة إلى جميع المسلمين الملتزمين في العالم، وأطلب منهم أن ينظروا إلى الشيعة بصفتهم اخوة أعزّاء لهم، وبذلك نشترك جميعاً في إحباط هذه المخططات المشؤومة.

استنهاض المسلمين

ثم واصل حديثه ووصاياه لاستنهاض المسلمين من سباتهم ومن تمزّقهم:

ـ أيّها المسلمون المؤمنون بحقيقة الإسلام، انهضوا ووحّدوا صفوفكم تحت راية التوحيد وفي ظلّ تعاليم الإسلام، واقطعوا أيدي الدول الكبرى الخائنة عن بلدانكم وثرواتكم الوفيرة، وأعيدوا مجد الإسلام، وتجنّبوا الاختلافات والأهواء النفسية، فإنكم تملكون كلّ شيء. اعلموا أن قدرتكم الروحية ستتغلّب على جميع الطواغيت، وتستطيعون بعددكم البالغ مليار إنسان، وبثرواتكم الطائلة غير المحدودة أن تحطموا جميع القوى.. انصروا الله كي ينصركم.

أيّها الجموع الغفيرة من المسلمين، انتفضوا وحطّموا أعداء الإنسانية فإن اتجهتم إلى الله تعالى، والتزمتم بالتعاليم السماوية، فالله تعالى وجنده العظام معكم.

.. ولنصل إلى النصر من خلال الاجتماع على الحق، وتوحيد الكلمة وكلمة التوحيد، التي هي أساس ومنبع عظمة الأُمّة الإسلامية.

يا مسلمي العالم، ماذا جرى لكم في صدر الإسلام، على قلتكم هزمتم القوى العظمى، وحققتم وجود الأُمّة الإسلامية الإنسانية الكبرى، وأنتم اليوم تعدّون ما يقارب المليار نسمة وتملكون الثروات الكبيرة، التي تعتبر رأس الحربة، وتعانون إلى هذا الحدّ

من الضعف والانسحاق في مقابل الأعداء؟!

هل تعلمون أنّ كل المصائب التي تعانون منها هي نتيجة التفرّق والاختلاف بين رؤساء بلدانكم وبالتالي فيما بينكم؟

اِنهضوا من أماكنكم واحملوا القرآن الكريم، واستلهموا أوامر الله تعالى حتى تعيدوا مجدكم وعظمة الإسلام العزيز، تعالوا واستمعوا إلى موعظة واحدة من الله حيث يقول:

﴿**قل إنّما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى..**﴾ انهضوا جميعاً وقوموا لله، قوموا فرادى على جنود وشياطين أنفسكم الباطنية وقوموا جميعاً على القوى الشيطانية، إذا كانت الثورة والنهضة إلهية ومن أجل الله فهي منتصرة.

ثم واصل حديثه الاسلامي بقوله:

أيّها المسلمون ويا مستضعفي العالم مدّوا أيديكم بعضكم لبعض وسيروا في سبيل الله...(١٨).

يجب أن نعلم أنّ إحدى الفلسفات الاجتماعية لهذا التجمّع العظيم من جميع أنحاء العالم توثيق عرى الوحدة بين أتباع نبيّ الإسلام، أتباع القرآن الكريم في مقابل طواغيت العالم، وإذا لا سمح الله أوجد بعض الحجّاج من خلال أعمالهم خللاً في هذه الوحدة أدّت إلى التفرقة، فذلك سيوجب سخط رسول الله صلى الله عليه وآله وعذاب الله القادر الجبّار.

وفي عبارة أُخرى له: وأن ترتفعوا عن الفرقة والتنازع ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾.

ـ الحجّاج المحترمون الموجودون في جوار بيت الله ومحل رحمته، تعاطوا برفق ومروءة واخوة إسلامية مع جميع عباد الله، واعتبروا الجميع ودون النظر إلى اللون واللسان والمنطقة والمحيط منكم.

ثم دعاهم جميعاً إلى شيء عظيم ألا وهو:

أن تكونوا جميعاً يداً قرآنية واحدة حتى تسيطروا على أعداء الإسلام والإنسانية(١٩).

ما أجمله من تعبير: يداً قرآنية واحدة!

نعم يمكننا نحن أن نتجنّب ما يثير الخلاف والنزاع والفرقة دون أن نصادر الرأي الآخر إذا ما قام عليه الدليل، وبذلك نستطيع أن نصون الوحدة لأمّتنا الإسلامية، هذا الأمل الكبير الذي يُراود كلّ المؤمنين المجاهدين والعلماء المصلحين.. تحت ظلال القرآن الكريم.

الهوامش:

(١) الأعراف: ١٨٩.
(٢) التين: ٤.
(٣) البقرة: ٣٠.
(٤) الأحزاب: ٧٢.
(٥) الانشقاق: ٦.
(٦) آل عمران: ١٠٤.
(٧) الأنبياء: ٩٢.
(٨) التكاثر: ١.
(٩) القيامة: ١٠.
(١٠) القيامة: ١٣.
(١١) آل عمران: ١٠٣.
(١٢) الأنفال: ٤٦.
(١٣) آل عمران: ١٠٥.
(١٤) آل عمران: ١١٠.
(١٥) نهج البلاغة: ٤٥.
(١٦) توجيهات الإمام في ٢٨ شوال / ١٣٩٩هـ.
(١٧) نداء الإمام إلى أبناء الشعب في ٢١ / تموز / ١٩٨٠.
(١٨) الحج في كلام الإمام ٤١ ـ ٤٢.
(١٩) الحج في كلام الإمام: ٤٠.